نشأة وحجم المخطوطات الإسلامية
The origin and size of Islamic manuscripts

المدرس/ مهدي محمد علي كصبان الجبوري*

Mahdi Mohammed Ali

ملخص البحث:

يهدف البحث الى الوصول إلى النشأ الأولى للمخطوطات الإسلامية وكيفيَّة كتابتها والبدايات الأولى للخط العربي وأساليب استخدام المخطوطات للرَّق وحجمها وطرق صناعتها ودباغتها، والاستخدام الأُفقي والعمودي لها.

إنّ علاقات الارتباط بين الحجم والحرف المكتوب في المخطوطات الأولى – التي وصلتنا من القرن الهجري الأول عن طريق مخطوطات صنعاء الأموية – تتطلب دراسة ومقارنة فيما بينها.

وقد بينا الحرف العربي من بداياته كمخطوط على الرّق وكيفية وصوله إلى ما آل إليه حالياً. وتقودنا هذه العلاقة إلى بدايات تكوين المخطوطات التي انتهت بمخرجات الكتاب المنجز. والكتابة في الأصل تركيب وتنظيم للحروف، وإذا خُط بالقلم وضم وجمع وخِيط وخرز؛ يقال عنه كتاباً قرطاسًا؛ أي خط فيه حروفًا وضمُّ بعضها إلى بعض، وكتب الكاتب كتبا أي جمعها.

وقد شاع إطلاق الكتابة عرفًا على أعمال القلم باليد في تصوير الحروف ونقشها، وعلى الحروف المكتوبة نفسها. ويمكن أن تأخذ هذه العلاقات أشكالا ونماذج متعددة، بين نسخ المخطوطات، وبين نصوص المؤلفات.

الكلمات الدلالية: المخطوط، الرقَّ، كتاب.

* جامعة الموصل/ كلية الآداب/ وحدة الدراسات الاستشراقي.

ABSTRACT:

The research aims to reach the communication for first production the Islamic manuscript and how written the Arabic letter. The style uses of manuscripts are using parchment and how manufactory tanning it with size and dimension -length and vertical- for manuscripts.

The correlation between the origin size and the written letter early manuscripts that we reserved manuscripts from Omyyaid' Sanaa which is need to be studied.

The printed letter, which brings us to the beginnings of the manuscript letter, and how it reached the current printed letter. This relationship leads us to the beginnings of the composition of the paragraph that ends with outcomes of the completed book. Writing is essentially a composition and organization of letters. The book is extracted from previous sources and books, if it is written with a pen, combined, threaded, and beaded. It is said that a writer wrote a piece of paper, meaning he wrote letters on it and joined them together, and he wrote the book as a book, meaning he collected it. s

The term writing has become customarily used to refer to the work of the pen by hand in depicting and engraving letters themselves. These relationships can copy of manuscripts and texts of printed works.

AIMES WORDS: manuscript, skil, book.

المقدمة:

يبقى علم المخطوطات هدفاً بعيد المنال في ظل معطيات الاستنتاجات المأخوذة منه للوصول إلى الحقيقة العلمية والرصينة، والركيزة الأساسية التي من خلالها نعرف الزمن الحقيقي للمخطوط والعائدية لمن أنشأ وكون المخطوط. فالمعطيات التي نجمعها بصبر هي التي تمكننا مستقبلاً من إعادة بناء تاريخ المخطوط كانعكاس صادق للظروف الفكرية التي نشأ من خلالها المخطوط.

كما أنَّ دراسة النشأة الأولى للمخطوطات الإسلامية تقودنا إلى الرد على الفكر الذي يندد أنَّ القرآن الكريم لم يكتب في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم. كذلك معرفة اقدم المخطوطات التي وصلتنا وهي المصاحف أو أجزاء منها، وافدنا بدراسة على أحجامها ونشأتها ومواد كتابتها.

مواد الكتابة:

كتب العرب معاملاتهم على مواد شتى، حفظت نماذج لها في متاحف مختلفة ومنها:-

١- العظام: من أهمها المسطح من الأكتاف التي تفضل لسعة مساحتها، وقد دونت عليها بعض العقود.

٢- اللّخاف: وهي الحجارة البيضاء العريضة الرقاق يعني (الخزف)، أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلي في جمع القرآن وذكر القصة قال: "فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف". اللخاف: صفائح الحجر الرقاق، واحدتها: لخفة[١].

٣- العسب: مفردها عُسيب، جريد النخل، إذا نحي عنه خوصه[٢].

٤- الأُدُم: مفردها أديم، وهو الجلد الذي بين اللحم والبشرة[٣].

٥- الرقوق: مفردها رقّ، أي الجلد المرقوق غير المدبوغ[٤].

٦- القُضُم: مفردها قَضيم، وهو الجلد الأبيض الذي يكتب فيه[٥].

٧- الخزف: ما عُمل بالطين وشوي بالنار فصار فخاراً[٦].

٨- الكرانيف: أصول الكُرب التي تبقى في جذوع السعف[٧].

---

[١] ينظر لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، ج٨، ص٢٨،دار صادر – بيروت، ط٣ – ١٤١٤ هـ.

[٢] تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز،ج١، ص٣٦، القاهرة – مصر،ط١، ١٤١٥ – ١٩٩٥.

[٣] ينظر لسان العرب: ابن منظور، ج١، ص١٦١.

[٤] مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد،ج١، ص١٢٧، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

[٥] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج٥، ص٢٠١٣، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

[٦] أنظر لسان العرب: ابن منظور، ج٩، ص٦٧، دار صادر – بيروت ط٣ – ١٤١٤ هـ.

[٧] المصدر السابق ج١، ص٧١٣.

٩- المُهرق: جمعها مهارق، في اللسان ثوب حرير أبيض يسقى بالصمغ.[١]

ولقد استعملت الجلود في الكتابة أكثر من غيرها من المواد في أول الأمر وشاع استخدامها في صدر الإسلام وأصبح للجلود مكانة، وقد استخدمت جلود الإبل والغنم والماعز والغزلان والحمير الوحشية وغيرها. حيث رقَّت هذه الجلود لتسمى الرقوق وهو أسلوب في الدباغة والصقل فكانت رقيقة لينة، وقد كونت مادة رئيسية للكتابة. ومن أبرز المدن التي عملت في صناعة الرقوق هي صنعاء وصعدة ونجران والطائف، ثمَّ انتقلت الدباغة إلى الكوفة وفاقت صناعتها للرقوق باقي المدن حيث كانت الدباغة الكوفية تدبغ بالتمر وفيها لين.[٢]

ومن خلال التسميات المختلفة للرّق في لغات عدّة فالثابت أنه لم يخترع في القرن الثاني الميلادي في برجام Pergame. ويبدو أنه رقَّ واستخدم في الشرق منذ زمن ابعد من ذلك، وربما أوائل الألفية الأولى قبل الميلاد[٣].

وقد انتهت المعطيات العلمية للنقوش أنَّ العرب أخذوا الكتابة من الأنباط الذين سكنوا المناطق المجاورة للعرب في تبوك ومدائن صالح والعُلى في شمال الحجاز. واشتقوا العرب من خط الأنبار: الخط الأنباري والخط الحيري والخط المَدني والخط الكوفي. وذكر النديم في الفهرست "فأول الخطوط العربية الخط المكي وبعده المدني ثمَّ البصري ثمَّ الكوفي. فأما المكي والمدني ففي ألفاته تعويج إلى يمينه وأعلا الأصابع وفي شكله انضجاع يسير"[٤].

المصاحف المبكرة:

إنّ أقدم المخطوطات التي وصلت إلينا هي المصاحف، ويمكن تقدير عمرها في الربع الأول أو منتصف القرن الأول الهجري، حيث أدى الاكتشاف الكبير الذي تمّ بالجامع الكبير بصنعاء اليمن عام ١٩٦٥- ١٩٧٢ إلى العثور على عدد كبير من المصاحف المكتوبة بالقلم الحجازي

---

[١] لسان العرب: ابن منظور، ج١٠، ص٣٦٨، دار صادر – بيروت ط٣ – ١٤١٤ هـ.

[٢] الفهرست:محمد بن اسحق النديم، ج١، ص٢٣، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨/ ١٣٩٨.

[٣] المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي: ديروش، ص ٧٧، ط ٢، ٢٠١٠، مؤسسة الفرقان.

[٤] الفهرست: النديم ج١، ص٩، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨/ ١٣٩٨.

والكوفي المبكر وأغلبها مُدَوَّن على الرَّق[1]. وهنالك قطع من مصحف محفوظ في باريس تحمل الرقم BnF ar. ٣٢٨a والمرجح كتابتها في نهاية القرن الأول الهجري.

إن الدراسة الدقيقة لمخطوطات صنعاء ستزيد بشكل جوهري من معرفتنا بنشأة أقدم أنواع الكتابة العربية، وخلافا لما جاء في بعض التقارير الصحفية المتسرعة فإن مخطوطات صنعاء لم تتضمن أي مغايرة للنص القرآني المتواتر؛ إذ إن الاختلافات بينهما تتعلق فقط بنوع الخط، وترتيب السور، وعلامات الفواصل بين الآيات، والفواصل بين الأحزاب، والأجزاء، والمنازل.

(ينتمي حوالي ثلثي هذه المخطوطات إلى اليمن، بينما تعود بقيتها إلى مناطق أخرى من العالم العربي. وقد تم في الأثناء ترميم الجزء الأكبر منها، وترقيمها، وفهرستها، والتعرف على ما تضمه من نص قرآني. كما جرى إحاطة كل رقيقة منها بغلاف بلاستيكي شفاف ومُغلق بشكل لا يحجب الهواء تماما عنها، وذلك لحمايتها، وتيسير إتاحتها للدارسين دون الإضرار بها.

و كان أول اكتشاف لمخطوطات صنعاء في عام ١٣٨٥هـ الموافق ١٩٦٥م بينما في عام ١٩٧٠ كان الاكتشاف الأكبر في نفس الجامع الأموي في مدينة صنعاء من اليمن ، وتتميز بكثرة كميتها وقدم تاريخها، ومن بينها أكثر من مائة مصحف ترجع إلى القرون الهجريّة الأول والثاني والثالث والرّابع والخامس. وقد خضعت للدراسة التي بيّنت سلامة النص القرآني من أي شائبة تحريف أو تبديل)[2] .

إن الفحص الدقيق لمخطوطات صنعاء ودراستها بشكل علمي واخضاعها تحت علم الكيدوكلوجيا وثم تحقيقها من قبل مختصين يؤدي ذلك للوصول إلى نشأة أقدم أنواع الكتابة العربية. وخلافا لما جاء في بعض التقارير الصحفية المتسرعة فإن مخطوطات صنعاء لم تتضمن أي مغايرة للنص القرآني المتواتر؛ إذ إن الاختلافات بينهما تتعلق فقط بنوع الخط، وترتيب السور، وعلامات الفواصل بين الآيات، والفواصل بين الأحزاب، والأجزاء، والمنازل. وينتمي حوالي ثلثي هذه المخطوطات إلى اليمن، بينما تعود بقيتها إلى مناطق أخرى من العالم العربي.

---

[1] الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات: أيمن فؤاد سيد، ج١، ص٤٨، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٧.

[2] انظر: المخطوطات القرآنية في صنعاء من القرن الأول والثاني الهجريين وحفظ القرآن الكريم: غسّان حمدون، ص١، كتاب إليكتروني بصيغة PDF، منشور في موقع المؤلف على الشّبكة، وعنوانه:
www.hamdoun.net/Default.aspx?value=ctgItem-٣-٨

تحتفظ مكتبات العالم ومتاحفه على وجه العموم ومكتبات العالم الإسلامي والعربي على وجه الخصوص بالعديد من المصاحف الخطية، إلا أن المكتبات العربية والإسلامية ما زالت بحاجة ماسة إلى بحوث متخصصة توفي في دراساتها التفصيلية تلك المصاحف لتتضح لنا من خلالها الخصائص العامة والسمات الفنية التي دونت بها المصاحف المبكرة والمتأخرة، وبالإضافة إلى دراسة كل ما له علاقة بالقرآن الكريم من تفسير وطباعة وترجمة لمعانيه والقراءات الواردة فيه، إلى غير ذلك من الدراسات العلمية.

المظهر الخارجي للمصحف:

١- شكل يقرب من الشكل المربع على هيئته.

٢- شكل يميل إلى الامتداد العَرضي بمعنى أن يكون ارتفاع الصفحة أقل من عرضها عرف عند مؤرخي الفن الإسلامي باسم (المصحف ذو الشكل الأفقي).

٣- شكل يكون فيه الارتفاع أطول من العرض ومن هنا **عرف** باسم (المصحف العمودي).

والمصاحف ذات الشكلين الأول والثاني مكتوبة عادة بالخط الكوفي، وبعضها لا نرى فيه التنقيط أو الحركات مثلما كان عليه المصحف الإمام، والبعض الآخر يوجد به التنقيط عندما كان الغرض من استعماله هو ضبط الحركات، بينما في القسم الثالث التنقيط أصبح هدفه تمييز الحروف.[١]

ويُرَجَّح أن تكون تسمية الخطوط بأسماء المدن جاءت نتيجة لأن العرب_ الذين كانوا يجهلون الكتابة قبل الإسلام_ تلقوا هذه الخطوط مع السلع المجلوبة فسموها بأسماء الجهات التي وردت منها، خاصة وأن الخط العربي قبل عصر النبوة قد عُرف بالخط النَّبَطي لأنه أتى إلى بلاد العرب من بلاد النَّبط مع التجارة التي كان يمارسها القريشيون مع الأنباط، كما عُرف بالحيري (الحيرة) والأنباري لأنه أتى إلى بلاد العرب مع تجارة إقليم السَّواد عن طريق دومة الجندل. وبانتهاء الخط إلى مكة والمدينة عُرف باسميهما ثمَّ أُطلق عيه اسم الإقليم كله حيث عُرف فيما بعد بالخط الحجازي، وهي تسمية محدثة لا توجد في المصادر القديمة.[٢]

---

[١] انظر: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات: أيمن فؤاد سيد، ج٢، ص٣٠٢، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٧.

[٢] انظر: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات: أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٧ ، ج١، ص٤٩..

أجمع الصحابة رضي الله عنهم على كتابة القرآن في الرّق لطول بقائه، ولأنه متوفر عندهم حينئذ[1]. وقد ارتبط الفن الإسلامي بثقافة وإرث الحضارة الإسلامية حيث انعكس على طرق كتابة وتزويق وزخرفة القرآن الكريم وهو روح الأمة الإسلامية ومنطلق عقيدتها الثابت لذلك نجد المصحف يحمل القدسية والفن العميق في تجويد كتابته والحفاظ عليه من كل شائب.

(إنَّ النسخ الخطية (للمخطوطات القرآنية) الكبيرة غير مألوفة في مطلع التاريخ المبكر. وما يؤكد ذلك قول منسوب للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (كراهيته للنسخ القرآنية الصغيرة)[2] وقد قادنا هذا الدليل الواضح على إتباع مبكر لضخامة المخطوطات القرآنية. والمثال الجديد والمشهور على ذلك الأجزاء من مخطوطات صنعاء الأموية .(DaM ٢٠-٣٣. von Bothmer) ١٩٨٧. والتي برهن Hans-Caspar von Bothmer أن أوجه قياسات المخطوطة هي ٣٦.٥×٤٤ سم حيث أصلها ٤٧×٥١ سم. وقد أشارت دراسة في القرن الرابع عشر الميلادي إلى أن الرق المستخدم لتلك المخطوطات يعود لعهد الوليد أو قريب منه في المدة بين ٦٩٠-٦٥٧ ميلادية على الرغم من أن حكم الوليد كان بين ٩٦-٨٦ هـ - ٧١٥-٧٠٥ م والذي أكده الباحثون الألمان عند نشرهم نتائج تحليلاتهم أن النص قد كتب بشكل واضح جداً مستخدما دواةً مع ريشة واضحة ومزود بالتشكيل (بحروف العلة) والزخرفة واضحة بشكل مميز[3].

وقد أشرنا إلى مخطوطات صنعاء في اليمن عندما عثر في عام ١٩٧٠م على مجموعة من المخطوطات القرآنية القديمة في الدور العلوي للمسجد الجامع الكبير بصنعاء. وفي بداية الثمانينات دعا مدير إدارة الآثار في اليمن، القاضي إسماعيل الأكوع خبيرين ألمانيين هما الدكتور جيرد ر. بوين (Gerd R Puin) وهـ. س. غراف فون بوتمر (H.C. Graf Von Bothmer) لترميم المخطوطات وصيانتها وذلك بالتعاون مع وزارة الخارجية الألمانية. وعمل بوين وبوتمر في صنعاء بضع سنين، ويبدو أنهما لم يعملا خبيرين للترميم فحسب بل استهدفا عملا إستشراقيا أيضا. فالتقط بوتمر صورا ميكروفلمية لأكثر من ٣٥٠٠٠ ورقة ورجع بها إلى ألمانيا، وفي ١٩٨٧ كتب مقالة تحدث فيها عن هذه المخطوطات وأشار إلى أن أحدها، وهو ذو الرقم ٢٣-١٠٣٣ يرجع إلى الربع الأخير من القرن الأول الهجري، كما كتب بوين مقالة بعنوان "ملحوظات على المخطوطات القرآنية

---

[1] المصدر السابق ج٢، ص٢٩٥.

[2] سلسلة دراسات: إبراهيم شبوح وفرانسوا ديروش، مؤسسة الفرقان، لندن، ط١، ٢٠١٨، ص ١٤٦، ترجمتي ديروش.

[3] المصدر السابق

القديمة بصنعاء". وقد أثار خبر هذه المخطوطات اهتماما بالغا بين المستشرقين، فعقدوا ندوة في ١٩٩٨ بليدن.[١]

وقد وجدت نسخة صنعاء الأموية في مخطوط قرآن أمية غير المنشور والتي أجزاء قليلة منها قد بيعت في الأسواق (اثنان منها قد بيعت إلى متحف الفنون الإسلامية في الدوحة). وكانت قياساتها ٥٠×٤٣ سم للصفحة الواحدة للمخطوط. وقد تضمن تاريخ الرق احتمالين الأول احتمالية ٦٨٪ ما بين ٦٥٦-٦٧٥ م والآخر ٩٥٪ ما بين ٦٤٨-٦٩١ م رغم أنَّ كُلّاً من الخط والزخرفة أرخ في منتصف القرن الثامن الميلادي. كذلك تضمنت مخطوطة صنعاء ٢٠ سطراً في الصفحة والتشكيل (حروف العلة القصيرة). حيث كونت الزخرفة اقل وضوحا في أجزاء مصورة من المخطوطة المحفوظة في جستر بتي بدبلن ولها شكل من ٢٠ سطراً عموديا تعود إلى العصر الأموي، وهي أقرب إلى مخطوطات صنعاء (DaM ٢٠-٣٣.١): حيث التشكيل كان موجودا فيها)[٢].

بعد هذه النسخ، هنالك ثلاث مجاميع صغيرة من المخطوطات القرآنية ذات الحجم الكبير جميعها تشترك بخصائص مادية قليلة وهي:

١- جميعها كتبت على الرق، حجم اللفائف كبير وبشكل مستطيل وقياساتها ٥٥×٦٥ سم تقريبا.

٢- نسخ النص بخط ضخم ١٢ سطر لكل صفحة في جميع الحالات مع عدم وجود التشكيل.

٣- أنها كتبت على الوجه اللحمي للرق.

وقد أشارت تحليلات القرن الرابع عشر الميلادي لواحدة من الرقوق أنها مؤرخة بين ٦٤٠-٧٦٥م ربما هذا المقترح يعود إلى نفس المقترح مع الأمثلة السابقة.

إن النسخة الأولى لمخطوطة مصحف طاشقند الشهيرة والتي قد فحصت من قبل A.F. Shebunin وبعد ذلك بفترة وجيزة نقلت من قبل السلطات الروسية إلى سانت بطرسبيرغ في عام ١٨٦٩. وفضلاً عن ذلك فإنَّ النسخة الورقية لا تزال موجودة في طاشقند ولكن بعض هذه النسخ ليست أطول من المخطوط، وباعت السلطات الروسية المخطوط إلى المتحف الإسلامي في الدوحة. احتوى المركز الآسيوي لقسم النسخ القرآنية على أجزاء قليلة من النص، علاوة على ذلك

---

[١] مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم: الأستاذ الدكتور محمد مهر علي، ج١١، ص٢٢، المملكة العربية السعودية، مطبعة الملك فهد.

[٢] سلسلة دراسات: إبراهيم شبوح وفرانسوا ديروش، مؤسسة الفرقان، لندن، ط١، ٢٠١٨، ص ١٤٦، ترجمتي ديروش.

لوحظ Shebunin في عام١٨٩١ أن ٦٩ صفحة ورقية من أصل ٣٥٣ قد أعيدت. وقد نشرت صورة طبق الأصل لها في عام ١٩٠٥ من قبل S.Pissaref .

إن المخطوط في بلده الأصل لم يكن مؤثراً في أبعاده لوجه الرق (٥٨سم × ٦٨سم) ولكن كذلك في أعداده. وقد وجدنا أساس قاعدة النص لصفحة الرق على افتراض كثافة المخطوط ليست كبيرة جدا، حيث بإمكاننا تقدير محتوى النسخ على ١٠٠٠ صفحة رق، والتي تعني أن قطيعاً من ألف خروف قد ذُبِحَ لكي نحصل على هذه الجلود والتي تحولت إلى رقوق. ولكي نعطي مقارنة ابعد من ذلك مع مخطوطات أسهل، فهذا يعني أن ٣٦٢م٢. رتبت رقوق هو متطلب لإعداد أي مجلد. إن نسخة الكتابة لصفحة المخطوط هي الصفحة اللحمية للرق.

إن حرفة عمل الناسخ أو الناسخين تتطلب العمل في شروط صعبة وملزمة لحجم صفحة الرق خصوصا في حالة الميلان المستمر وربما عدم وجود بعض الألواح الخاصة بالصفحة. هذا واضح جدا عند فحص الحروف، حيث يبدوا أسفل هذه الحروف داكن ولكن في الحقيقة هو انتشار الحبر على الرق قبل جفافه. ومن ناحية أخرى فإن عرض قصبة الكتابة لا تسمح للناسخ دائما بوضع بصمته على الكتابة بشكل مقنع. كذلك عند إعادة تحبير نص معين أو بعض الأماكن قد تحدث بعض حالات التداخل للحروف مع بعضها. وعندما أعدَّ Pissaref صورة طبق الأصل لمخطوط في سانت بطرس بيرغ وقد اعاد تحبير بعض صفحاتها والذي أنتج أخطاء فيها ليرفع الخلاف في دوائر العالم الإسلامي.[١]

وصف الكتابة:

وطبقا لقواعد الكتابة الحالية، نجد أن النص موزع بانتظام على صفحة الرق بدون أي تمايز بين المسافات للكلمات الداخلة، وهكذا حتى النهاية وجد مع الكلمة الواحدة. ونتيجة لذلك سمح لتقسيم الكلمة في نهاية السطر مع السطر الجديد، ولكن تجنب النساخ تكسير الكلمة بين صفحتين. وقد اعطى اتحادات المخطوطات العالي أهمية للعنصر الأفقي والخط تحت الكلمة للتعبير عن المد او الإطالة في المصحف[٢]. للحروف صاد طاء قاف المفصولة أو في نهاية كلمة باء فاء ياء (Shebunin ١٨٩١, pl. VIII and IX). وفي الحقيقة أن للحرف شكلين أو ثلاثة تقوده إلى الإطالة أو المد. على الرغم من أن الأشكال متقاربة جدا من حروف الكاف والدال إلا أنها لا تمد أو مقطعها قصير. وفضلا عن تطبيق شكل الحروف في المصحف فإنَّ الحروف تمد في حالة

[١] **Jeffery and Mendelssohn ١٩٤٢, ١٧٦**

[٢] (ديروش ١٩٩٢ , ١٢ : مراجعة أخرى من قبل ٨-٢٤ Abbott ١٩٣٩)

الوصل للضرورة. وعلى نحو استثنائي فإن الميم في ذيل الكلمة الأفقي كذلك تمد في نهاية السطر. نشر Shebunin أمثلة مثيرة ومتعددة لكلمات فردية احتلت سطراً كامل (Shebunin ١٩٨١, pl. IX). استخدم الناسخ فراغات في نهاية السطر لكي ينتج هامشاً نظامياً للجهة اليسرى. في بعض الحالات هناك في الحقيقة لا يوجد حيز لأي حرف، والمسألة هي تبدو علم الجمال، ولكن في أغلب الأحيان ربما يكون الحرف طويلاً جداً، ومن المؤمل أن الناسخ خطط بالعناية الفائقة لتوزيع النص[١].

(إن الزخرفة التي بقيت متضمنة في زينة عناوين السور، والتي تبدو معتمدة على تكرار الحرف الواحد تلو الآخر وبالشكل المربع وبأنماط هندسية لكي تطغى على طول الحيز لملء الفراغ، لجأ لهذه الحيلة، وكذلك الشكل الرباعي لنجم بأربعة رؤوس ودائرة في الوسط مع رقم الآيات وحروف أبجدية حمراء وألوان أحمر وأصفر وأزرق والأخضر. وقد حفظت النسخة الثانية لهذه المجموعة في القاهرة في مشهد حسين وأعاد كتابة صفحة المخطوط بالخط العربي (Mortiz ١٩٠٥, pl. ١٣, with detail on pl. ١٤) وحديثا نشرت نسخة طبق الأصل في اسطنبول (Altikulaç٢٠٠٩) على الرغم من عدم تزويدنا لأي وصف للمخطوط من قبل المختصين بعلم المخطوطات للرق، إلا أن الوصف أوجد تشابهاً لنسخة طاشقند[٢]. وهي ليست واضحة سواء ١٠٨٧ صفحة أصلية أو تتضمن البدائل، كما هي الحالة مع المخطوطات السابقة. لم يشير Altikulaç الى أي تعليق على هذه النقطة ولكن البعض من اختلافات الموضوع قد يشير إلى هذا. إن المخطوط أقرب ما يكون من نسخة طاشقند مع استعمال واسع للإطالة مع شواهد لكلمات فردية على السطر

(Altikulaç ٢٠٠٩, ٧٥٨)على سبيل المثال. وكذلك قد تبدو بعض العلاقات بين المخطوطتين من خلال التزيين والاهتمام. وتضمن زخرفة العقد المربع لأربع نقاطاً ونجمة، وفي الوسط دائرة والتي تحتوي على حرف أحمر أبجدي. إن تكرار تركيب المربع يمكن ملاحظته في عناوين السور على سبيل المثال .(Altikulaç ٢٠٠٩, ٤٨٧ or ٥٩٢ r ٥٩٢ or ٤٨٦ v f. ويشير بوضوح العدد الكلي للآيات لكل سورة بعد نهاية الآية كما في نسخة طاشقند. لاحظ على سبيل المثال:

[١] سلسلة دراسات: إبراهيم شبوح وفرانسوا ديروش، مؤسسة الفرقان، لندن، ط١، ٢٠١٨، ص ١٤٦، ترجمتي لبحث ديروش.

[٢] عاصة تركستان بلاد تقع إلى الشمال والشرق من بلاد ما بين النهرين وتقع على الأراضي التي بين الجبال المتوسطة (آسيا الوسطى) وبين حوض نهر الخزر والهضبة الإيرانية وهي من بلاد روسيا.

(f. ٤٠٠ v or ٤٥١ r Altikulaç ٢٠٠٩, ٤٠١ or ٤٥١) لا تسمح هذه النسخة بأن نقر باستخدام الذهب لها لكن كذلك لا تبدو على حالتها. وتبدو المقارنة على عجالة بين المخطوطتين أن النص الموزع على صفحات الرق غير متشابه في كليهما وهذا يعني أنه لا يتبع نفس النموذج.

كان تاريخ كلتا النسختين تحت النقاش، فمنهم من قال أنهما من نسخ الخليفة الراشد عثمان _رضي الله عنه_ الخاصة، لكنهما لا تحتويان على دليل قاطع يؤيد أن النسختين للخليفة. لكن حاول بعض الباحثين وضع تاريخ لهما من خلال التحليل والخط. ووضع تاريخ مقترح من قبل مؤسسة Shebunin إنَّ نسخة طاشقند تعود إلى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي (Shebunin ١٨٩١, ١٢٣). نصف قرن مضت من العمل المضني على نسخة Pissaref's وقد قيمت قواعد الإملاء من قبل A.Jeffery and I.Mendelsohn مع نص مخطوطة طاشقند ووصل الاستنتاج إلى احتمالية تاريخها في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي (Jeffery and Mendelsohn١٩٤٢, ١٩٥) . قدم محرر نسخة القاهرة النص لغلق الجدل وجاء بالاستنتاج التالي، أن الرسم عثماني طبقا لقواعد الأدب الإسلامي التقليدي، والمخطوطة لا تعني مصحف عثمان، وأكدت ذلك نتائج الفحص من قبل صلاح الدين المنجِّد على النص الشاحب المكتوب والخلفية التاريخية له (Altikulaç I, ٢٠٠٩, ١٢٤-٥: Munajjed ١٩٧٢, ٥٠-٥) والتاريخ المقترح لها انه في نهاية القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي (Altikulaç ٢٠٠٩,I,١٢٥) . وذكرت بأن تحليل القرن الرابع عشر الميلادي المذكور آنفا، أن نسخة طاشقند من الرق والتي تضمنت احتمالية ٦٨٪ مؤرخة ما بين ٦٤٠_٧٦٥ م (Christie's, ١٩٩٢, lots ٢٢٥ and ٢٢٥ A).

إن النسخة الثالثة لدار الكتب في القاهرة، ستوقفنا على نحو أكثر دقة. وقد حفظت المخطوطة في جامع عمر في الفسطاس في بداية القرن التاسع عشر، عندما ذكرت من قبل الرحالة الغربي Ulrich Seetzen, والذي تمكن من شراء أجزاء منها والمحفوظة الآن في Gotha (Universitâts-und Forschungsbibliothek, MS OrientA ٤٦٢, with ١٢f., see Pertsch ١٨٧٨, ٣٩٥-٦; Möller ١٨٤٤, pl. XIV; Nebes ١٩٩٧) وأوربي آخر عاش في القاهرة، إنه وكيل القنصل الفرنسي في مصر Jean-Louis Asselin de Chervill استطاع الحصول على بعض من أجزاء مخطوطة دار الكتب والتي هي الآن في باريس (Bibliothéque nationale de France, Arabe ٣٢٤ c°, with ٣٨f. see Déroche ١٩٨٣, ٧٥-٧).

وفي عام ١٩٠٥ نشر Bernhard Moritz صفحات مختارة من المخطوطة والتي نقلت إلى مكتبة Khedivilal (Moritz ١٩٠٥,pl. ١-١٢).[١]

إن جزءاً من مخطوطة القاهرة التي لها ٥٦٨ صفحة رق وبقياس ٥٤× ٦٢ سم. والتي فحصت من قبل مجلة Shebunin ونشرت الدراسة عام ١٩٠٢ في نفس المجلة حيث قد ناقشت نسخة طاشقند سابقا (Shebunin ١٩٠٢) . وأخيرا فقط ٢٤٨ صفحة رق ربما هي أصلية والبقية اجري عليها ترميمات مختلفة استخدم فيها الرق إما الرق (٩٥ صفحة رق) أو الورق (٢١٩ صفحة) (Shebunin ١٩٠٢, ١٢٠) إن صفحات الرق قد اشتركت في نفس الخصائص وبمعنى آخر أنها كتبت غلى الوجه اللحمي كما في نسخ طاشقند ومشهد حسين. لاحظ Shebunin أن نسخ الرق لا تشبه في طياتها تلك التي في نسخ طاشقند لكي تعطينا نفس الأصل، لكن زوج من الرق لصقتا بغري وتم أعادتهما إلى المصحف (Shebunin ١٨٩١). وخطت الزخرفة بين السور بصورة فنية بحجم أكبر، مع العلم أن البعض الزخارف كررت بنفس المبدأ للمربعات المركبة كما في نسخة طاشقند. وفي تحليل الألوان لصفحات رق في مختبر باريس حيث قدمت النتائج المعطيات التالية: للأزرق استخدم حجر برّاق، وللأخضر استخدم صدأ النحاس، وللأصفر استخدم الزعفران، والعفص للأحمر (Déroche et al. ٢٠٠٦, ٥٠ and ٥٥) . إن هذه المخطوطة أقرب إلى نسخة مخطوطة مشهد حسين في مصر وقد شخصها ديروش (Déroche ١٩٨٣, ٣٩-٤٠ and pl. XII; ١٩٩٢, ٤٠-٤١). إن الخطوط ثخينة ورفيعة ومنحنية إلى اليمين كما في مخطوطات الحجازي المبكرة.[٢]

إن الحروف توزعت بانتظام على الصفحة، وبنفس الأبعاد بين حرف وآخر أو فيما بين مجاميع الحروف مع احتفاظها بنفس حيز الجزئية للكلمة. (fig. ١٦). وفي نهاية السطر لا يتردد الناسخ في تقسيم الكلمة حيث انتهى السطر ليبدأ بالسطر الجديد. وفي بعض الحالات هنالك حروف فردية على صفحة رق باريس برقم ٢١ في السطران الثاني والرابع وجد حرف النون معزول عند بداية السطر. ساعدت هذه الطريقة الناسخ على توزيع الكتابة على السطر والصفحة، وقد تبين أنه لا يتجنب دائماً أخذه حيّزاً أو فراغاً في نهاية السطر، ليتحصَّل على خط عمودي منتظم إلى جانب اليسار مع سطر مملوء بالحروف بحيث لا يمكن إدخال أي من الحروف أو ترك فراغات في

---

[١] سلسلة دراسات: إبراهيم شبوح وفرانسوا ديروش، مؤسسة الفرقان، لندن، ط١، ٢٠١٨، ص ١٤٦، ترجمتي ديروش.

[٢] سلسلة دراسات: إبراهيم شبوح وفرانسوا ديروش، مؤسسة الفرقان، لندن، ط١، ٢٠١٨، ص ١٤٦، ترجمتي ديروش.

نهاية السطور، بحيث تكون المخطوطة مملوءة كلياً (fig. ١٦, ١.٣ and ٧). وفي تقنية أخرى كثيرة الاستخدام من قبل ناسخين كما في نسخ طاشقند ومشهد حسين، حيث كانت الإطالة الأفقية لبعض الحروف متاحة لهم. وفي الحقيقة طبق هكذا نسخ على نحو محدود باستثناء نهاية المخطوط، وبدايته مع أسماء السور (العناوين) على نحوٍ متكرر.[١]

وعلى اساس كمية النص لصفحات الرق المحفوظة في باريس، من الممكن استنتاج حجم المخطوط الأصلي. والتي من المحتمل احتواءها ٦٥٥ صفحة من الرق وفي تعبير آخر احتوت على ٢١٨م٢ من الرقوق التي نحتاجها لعمل نسخة من الرق ونوعا ما أقل من المخطوطين الأخيرتين.

إن قواعد الإملاء قد تعطي بعض الآراء حول تاريخ المخطوطة. وقد وجدت بعض حالات مخطوطة رق ناقصة محفوظة في باريس[٢]، حيث لا توجد خاصيَّة لعدم الكتابة بدون ألف في هذه المخطوطة، لكن منسأته (٣٤:١٦)، جنات (٣٤:١٥)، ذواتا (٣٤:١٦)، ليال (en ٣٤:١٨) لا تزال مكتوبة بشكل خاطئ[٣]. وطبقا لقواعد الإملاء الأخيرة في ٥:١٠ كتبت بآيات بثلاث سنن بدلا من اثنان (Déroche ٢٠٠٩، ٥٤–٥) وفي ألف الواقعة ينقص فيها الجمع في الشخص الثالث لرأى (Déroche ٢٠٠٩، ٦٤–٦) ، وذو يكتب بالمقابل بألف ممحُو لاحقاً(Déroche ٢٠٠٩، ٦٥–٦) ، تشير كل هذه العناصر إلى مرحلة إملائية مبكرة، هي في نهاية القرن الثامن أو مطلع القرن التاسع الميلادي. بحيث لا يسمح بتقسيم الآية– طبقا لقواعد تحليل جزء من مخطوطة باريس– يحددها تقييم يتبع له مدرسة الناسخ. وقد جد في جزئية النص من نهاية الآية أول تقسيمان لم يكن معروف في تقاليد البصرة.

الرقوق القرآنية:

إنَّ المخطوطات القرآنية المدونة في الرَّق والتي تم العثور عليها في الجامع الكبير بصنعاء عام ١٩٧٢م، ويصل عددها الى اكثر من عشرة آلاف قطعة رقّية وتضم ٨٠٠ مصحف غير متكمل بينها ما يقارب من ١٠٠ مصحف مزخرف .. وجميع القطع ينحصر عمرها بين القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري .. وبالنسبة لنوادر المخطوطات الموجودة بالدار تعتبر الرقوق القرآنية من اقدم

٢ سلسلة دراسات: إبراهيم شبوح وفرانسوا ديروش، مؤسسة الفرقان، لندن، ط١، ٢٠١٨، ص ١٤٦، ترجمتي لبحث ديروش.

٢ أنظر خاصية النسخ الأسبق: ديروش ، ٢٠٠٩، ص ٥١، الناشر مؤسسة الفرقان، لندن.

٣ المصدر السابق، هذا حسب رأي ديروش مع مقارنة بالخط الحديث لكن الخط النبطي له خصائصه.

النماذج في العالم، ولا يوجد لها مثيل حتى الآن سوى في جامع معاذ بن جبل بالقيروان بتونس ومكتبات المخطوطات بتركيا ولا يستبعد وجود نماذج اخرى في اماكن مختلفة من العالم، إلا أنَّ ما يوجد لدينا يعد من النفائس الثمينة واكبر كنز تراثي على مستوى العالم، فهي تكشف المراحل المختلفة لتدوين المصحف الكريم، فهناك نماذج كتب قبل تنقيط القرآن ونماذج بعد التنقيط ونماذج لا يوجد فيها حركات الاعراب والتشكيل واخرى تفتقد الى الزخارف، بالاضافة الى كتابتها بخطوط مختلفة كالخط المكي او المدني، والخط الحجازي المائل والكوفي وغيرها وجميعها تشكل مجالاً خصباً للدارسين والباحثين والمحققين[١].

إحصائية مخطوطات صنعاء:

إنَّ تحديد عدد المخطوطات في اليمن مهمة شاقة وعسيرة، لعدم وجود الاحصائيات الدقيقة، والمسح الميداني الشامل، وهناك رأي للمستشرق الألماني (يوسف بوثن)، قدر فيه عدد المخطوطات في اليمن بمليون مخطوط مثله مثل المغرب، مستنداً إلى إحصائيات قامت بها مؤسسة أهل البيت في الأردن، وعلى تقديرات أخرى جمعها بنفسه لكن تظل عملية الأرقام غير دقيقة[٢].

يقول الأستاذ عبد الوهاب المؤيد[٣]: (والذي سمعنا عنه أو قرأناه من تقديرات لعدد المخطوطات اليمنية بصفة عامة هو أرقام مجردة تظهر فيها المجازفة من ناحية والمبالغة من ناحية ثانية؛ لأنها لا تعتمد على حيثيات أو دراسات أو مصادر معينة فضلاً عن المراجع والوثائق أو نحوها.

وقدر الأستاذ المؤيد بعد زيارات قام بها لمناطق يمنية، واطلاع على فهارس المكتبات العامة عدد المخطوطات اليمنية بـ(١٥٠) ألف مخطوط على تقدير أن عددها في خمس مناطق (١١٥) ألف مخطوط، وتلك المناطق هي صنعاء ٥٠ ألف مخطوط، حضرموت٢٠ ألف مخطوط، صعدة٢٠ ألف مخطوط، ذمار ١٥ ألفاً، زبيد ١٠ آلاف وعلى تخمين أن نسبة هذه المخطوطات في مجموع هذه المناطق تصل إلى ثلاثة أرباع المخطوطات اليمنية في الداخل ٧٥% وهذا يعني أن عدد المخطوطات في اليمن يمكن أن يقدر برقم في حدود (١٥٠) ألف مخطوط)[٤].

---

١ viva_intifada@hotmail.com

٢ أنظر خاصية النسخ الأسبق: ديروش ، ٢٠٠٩، ص ٥١، الناشر مؤسسة الفرقان، لندن.

٣ http://www.ahlalhdeeth.com نزار بن عبد الوهاب المؤيد طارق بن محمد الصعدي.

٤ مصادر التراث في المكتبات الخاصة في اليمن تأليف الأستاذ عبد السلام عباس الوجيه أعد هذا الكتاب إلكترونيا قطب الدين بن محمَّد الشَرْوَني الجعفري للتواصل viva_intifada@hotmail.com .

اثبتت مخطوطات صنعاء القرآنية أن الطعن في القرآن الكريم داحض من خلال مخطوطات صنعاء وغيرها، وهو ما ينسف الشبهات حول مصداقية نزول القرآن في تلك المدة المبكرة وتدوينه.

أما تخمينات المستشرقين المتجددة التي سبق أن أشرنا فيها إلى مخطوطات صنعاء القرآنية. ففي سنة ١٩٧٠م عثر على مجموعة من المخطوطات القرآنية القديمة في الدور العلوي للمسجد الجامع الكبير بصنعاء. وقد أثار خبر هذه المخطوطات اهتماما بالغا بين المستشرقين، فعقدوا ندوة في ١٩٩٨ بليدن[١] Leiden عن "الدراسات القرآنية" حيث ألقى كل من بوين وبوتمر محاضرة في موضوع المخطوطات الصنعانية.

وقد تبين مما سبق أنَّ النص القرآني كيف نشأ وكيف كانت الأشكال المبكرة لما حدث لاحقا من تشكيل حروف القرآن الكريم، أي الحركات والتشديد والسكون، وكيفية كتابة الهمزة؛ على حرف، أم مفردة، وكيف تطورت العلامات الخاصة بالفواصل بين الآيات، وكيف تمت كتابة عناوين السور، ونوع ما استُخدم من رقائق ومداد، وكيفية تجليد المصاحف، ولماذا كانت المصاحف تُكتب بالطريقة الرأسية، ثم كُتبت بالطريقة الأفقية، وأخيراً بالرأسية؟

في قليل من هذه المخطوطات المُكتشفة في اليمن يختلف الرسم نوعاً ما عن الرسم العثماني؛ فمثلا نجد ألف المد القصير في ثنايا اللفظ مكتوبة ياء بدون نقطتين. ولا يقتصر ذلك على لفظ "مجراها"، وإنما نجد ذلك في لفظ "رجال" في الآية السادسة من سورة الجن (السورة ذات الرقم ٧٦)، ولفظ "إله" في الآية التاسعة عشرة من سورة الأنعام (السورة ذات الرقم ٦).

الخاتمة:

إنَّ دراسة النشاءة الأولى للمخطوطات تضع المشككين من تدون القرآن في خانة الجهل لأنَّه محفوظ بطريقة تثبت للجميع صحَّته، والدلائل كما مدون في مخطوطات صنعاء وهو إثبات مادي ملموس للقاصي والداني.

ويعد ذلك التصور أكثر أهمية والتصاقاً بالنص الديني المقدس فهو في كل الثقافات نص مغلق، يشكل نظاماً تُنسب إليه الأصالة والنهائية، نهائية التشكُّل ونهائية الدلالة، وهو غير خاضع لفعاليات التاريخ التغَيُرِيَّة، ولذلك فإنَّ النص المقدس يعد ظاهرة كتابية. ويشار إلى النص أيضاً بكلمة " المتن "، وهو صلب الكلام لتمييزه عن أي إضافات خارجة عن النص كالحواشي وغيرها.

[١] Alan F. Alford, Gods of the New Millennium, London, ١٩٩٦

إذن النص كبنية مرتبط بثلاث أمور هي ؛ المؤلف،النص، القارئ . وفي هذه الحالة يمكن القول بأنَّ النص بقدر ما يكون مغلقاً كبنية من الكلمات أو العلامات، فإنه يكون قابلاً للتفتح عن طريق التفسير وتشكيل المعنى، أي أنَّ النص ثابت والتفسير متحرك، وفي حالة النص الديني المقدس، فإنَّ النص إلاهي والتفسير بشري.

وما يلي صور جزئية من مخطوطات صنعاء.

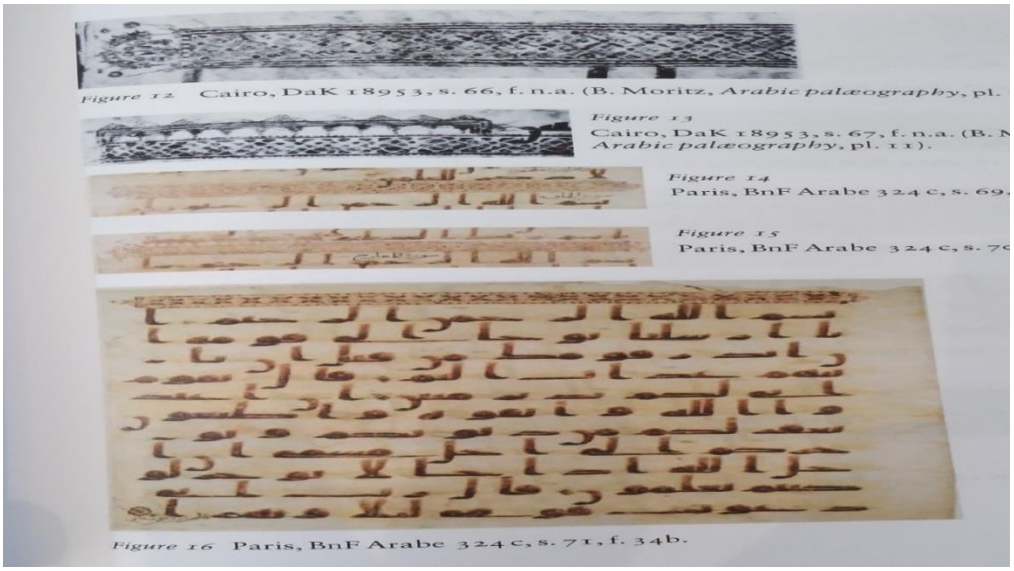

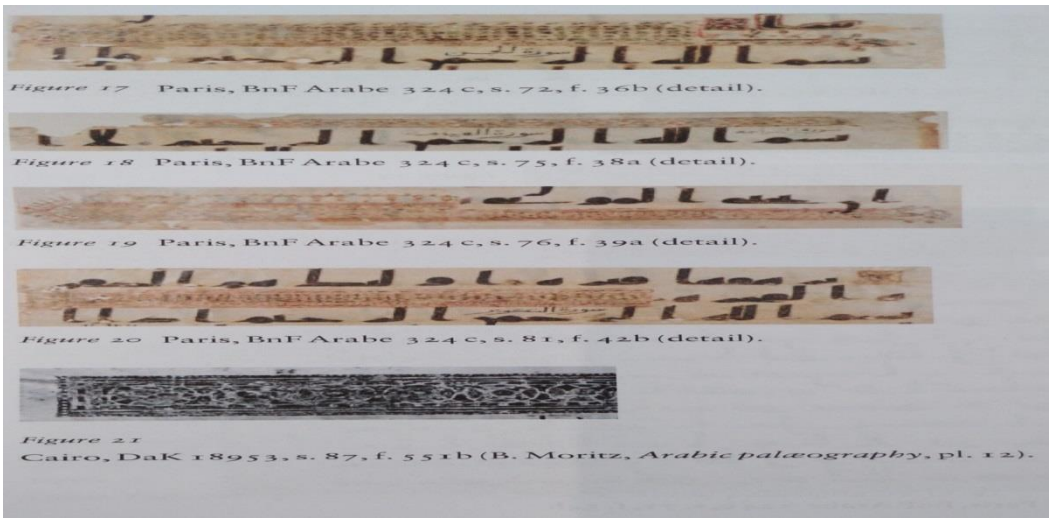

المصادر والمراجع:

١. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، القاهرة – مصر،ط١، ١٤١٥ – ١٩٩٥.
٢. خاصية النسخ الأسبق: ديروش ، ٢٠٠٩، الناشر مؤسسة الفرقان، لندن.
٣. سلسلة دراسات: إبراهيم شبوح وفرانسوا ديروش، مؤسسة الفرقان، لندن، ط١، ٢٠١٨.
٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج٥، ص٢٠١٣، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
٥. الفهرست: محمد بن اسحق النديم، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨/ ١٣٩٨..
٦. الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات: أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٧.
٧. الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات: أيمن فؤاد سيد،، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٧.
٨. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣ – ١٤١٤ هـ.
٩. مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
١٠.المخطوطات القرآنية في صنعاء من القرن الأول والثاني الهجريين وحفظ القرآن الكريم: غسّان حمدون، ، كتاب إليكتروني بصيغة PDF، منشور في موقع المؤلف على الشّبكة، وعنوانه: www.hamdoun.net/Default.aspx?value=ctgItem-٣-٨
١١.المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي: ديروش، ص ٧٧، ط ٢، ٢٠١٠، مؤسسة الفرقان، لندن.
١٢. مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم: الأستاذ الدكتور محمد مهر علي، المملكة العربية السعودية، مطبعة الملك فهد.

مصادر التراث في المكتبات الخاصة في اليمن تأليف الأستاذ عبد السلام عباس الوجيه أعد هذا الكتاب إلكترونيا قطب الدين بن محمَّد الشَرْوَني الجعفري للتواصل viva_intifada@hotmail.com .